

نداء المسؤولة التاريخية

المعركة المصيرية التي تواجهها أمتنا العربية تحتاج الى كل قدرات وطاقات هذه الأمة . تلك حقيقة تقع في منزلة البديهيات . ولكن البداية الطبيعية لهذا الحشد والتوحيد لطاقات الأمة العربية تتلخص في المرحلة الراهنة وتتركز في اتحاد جماهير الأقطار المحيطة بإسرائيل وهي : مصر والعراق وسورية .

هذا ما يؤكد ويمليه منطق الوحدة المتجهة الى المعركة . فاتحاد الأقطار الثلاثة هو الاتحاد الوحيد الذي يصح ان يسمى اتحاداً ثلاثياً ، لان كلا من أقطاره الثلاثة ، يشكل ركناً أساسياً لا يستقيم الاتحاد من دونه . فهو ليس اتحاداً رقمياً كمياً وليس مجرد امتداد جغرافي بعيد عن مواجهة اسرائيل . وهو لا يمكن أن يكون اتحاداً محورياً يتجاهل قطراً رئيسياً ويضع التناقضات الثانوية في منزلة التناقض الأساسي مع العدو . وهو أخيراً لا يمكن ان يكون صيغة وحدوية شكلية ليست مقصودة بذاتها ، أو وسيلة لتمرير حلول استسلامية . بل ان هذا الاتحاد الثلاثي لا يمكن أن يكون في هذا الظرف إلا اتحاداً نوعياً ، وان يكون الأساس لكل مواجهة جديدة للعدو . فهو الذي يستطيع بالقوة التي يحشد لها ، ليس فقط ان يتكافأ مع متطلبات المعركة ، بل هو الذي يستطيع بما يتوافر له من عناصر السلامة والايجابية ، أن يخلق الثقة في جماهير بقية الأقطار العربية ، فتعود اليها ثقتها بالوحدة العربية ، لأنها تدرك ان جهودها سوف تثمر إذا ما انضفت وانصبت في هذه البداية الطبيعية السليمة .

ولكن نظرة الى الواقع العربي الراهن ، ترينا ان هذا الذي نقوله ونتمناه ، يكاد يكون أقرب الى الحلم منه الى الحقيقة وفي هذه المفارقة وحدها ما يكفي لفضح

أمراض وتناقضات مستوطنة في جسم الثورة العربية، ان لم تكشف اليوم وتحلل بصراحة ووضوح وبروح إيجابية، فقد تفوت الأمة العربية فرصة تاريخية ثمينة.

لقد ظلت هذه الامراض تفعل في هذا الجسم وتخرب سنين طويلة حتى كادت قوى الثورة العربية تصبح نقيض حقيقتها، ويصبح عملها وخط سيرها مخالفاً لطبيعتها، بل ولكل شيء طبيعي في حياة الثورة العربية.

إذ كيف يمكن ان يقوم في بلدين متصلين نظامان يقولان بالانتماء إلى حركة ثورية واحدة، هي حزب البعث العربي الاشتراكي، ويستمران في تغليب التناقضات الفرعية والثانوية على مواجهة العدو، تلك التناقضات التي لايجوز ان توضع في مستوى الأخطار المهددة لمصير الأمة. فالواضح والأكيد، بعد هذه التجارب الطويلة المتكررة، ان إرادة الفرقة والتجزئة والتناحر هي الأصل والأساس، وان التبريرات العقائدية والسياسية تأتي لتستر وتغلف هذه الإرادة.

ثم ما الذي كان وما زال يدفع بالحركة الناصرية الى معاداة حزب البعث، وما الذي يقيم بين سوريا والعراق ومصر، الفروق والحواجز المتعددة المظاهر والنسب، في حين أن أفكاراً وأهدافاً واحدة تجمع حزب البعث والحركة الناصرية، وأن الجماهير العربية، قبل أن تقع فريسة للتضليل الاعلامي، كانت من قبل وحدة ١٩٥٨ واثناءها، تنظر بحدسها الصافي الى هاتين الحركتين على انهما حركة واحدة.

وكيف يمكن لعربي مخلص أن يعتبر إرادة الانقسام والتجزئة والتناحر إرادة عربية وطنية وان ينزهها عن التخطيط الأجنبي المعادي.

لقد مرت سنون وسنون على هذا التمزق، والجماهير العربية تخضع مرغمة لمخططات الفرقة والانقسام على غير قناعة أو حماسة، لأنه كان يطلب اليها أن ترى الاختلاف حيث التوافق والتكامل والوحدة، وأن تستسلم لهذا الواقع الشاذ المناقض لطبيعة المنطق والأشياء، فلا تستفيق إلا على صدمة النكسات والهزائم لتلمح في ضوء ما ينتج عن النكسة من صحوفي العقل والضمير، بطلان ذلك الانقسام المصطنع، كما تلمح طريق الخلاص في الوحدة والتوحيد، وفي استرداد الإرادة

• السلبية والتحرر من تأثير المخططات اللاوطنية المتعارضة مع الخط الطبيعي لمسيرة الثورة العربية .

فما هي العوامل والمؤثرات التي سلبت الأمة العربية إرادتها حتى أمست تسير وفق ما يخططه لها اعداؤها من استعماريين وصهاينة؟ ومن الذي أراد أن يكون حزب البعث، حزب الوحدة والجماهير والتراث العربي والحضارة العربية، سجين الأطر القطرية والطائفية وأسير الواقع الذي جاء لتبديله وتغييره؟ ومن الذي خطط أن يكون هذا الحزب التاريخي على هذه الصورة؟ ثم من الذي فرض التحريم على علاقة الحركة الناصرية بحزب البعث، ودفع إلى رفع شعار (لا وحدة مع حزب البعث) وإلى مهادنة القوى والأنظمة الرجعية، في وقت لم يكن قد مضى عامان على نكسة الانفصال ودرسها المرير الذي كشف عن مسؤولية إنقسام قوى الثورة العربية في إعطاء فرص للاستعمار والصهيونية والرجعية لتضرب الوحدة. ومن قال ان حزب البعث العربي الاشتراكي هو نقيض الحركة الناصرية؟ وهو الذي التقى مع هذه الحركة التقاء تاريخيا على طريق الكفاح ضد الاستعمار وأحلافه ومشاريعه، واستطاع بالتعاون معها أن يحبط تلك الاحلاف والمشاريع الاستعمارية، والتقى بها في عمل تاريخي رائد في أول تجربة للوحدة العربية في هذا العصر، تلك التجربة التي كان طريقها الطبيعي ان تصل إلى معركة تحرير فلسطين. ولكن الاستعمار والصهيونية، اللذين كانا يدركان خطر هذه الوحدة ويعرفان طبيعتها النضالية التحريرية، وضعا كل ما يملكان من وسائل ودهاء وجهد لتخريبها من داخلها وللتفريق بين القوتين الثورتين اللتين صنعتهما.

ولما تغلب حزب البعث، رغم ما أصابه من تمزق على وضع الانفصال وطرح مشروع الوحدة الثلاثية (ميثاق ١٧ نيسان) لتجديد الوحدة، كان لابد للاستعمار والصهيونية أن يبذلا جهوداً جديدة لاستعداد الحركة الناصرية على حزب البعث ولمحاولة لغم الحزب من الداخل باخبت الاساليب التي تستعير لغة الثورة وشعاراتها، حتى ضرب الحزب نفسه باسم اليسار واليمين، وحيل بين الحزب وبين

الالتقاء من جديد بالجماهير العربية في مصر التقاء يقطع الطريق على مخططات التجزئة والانقسام والتناحر والتنافس السلبي . ولا زالت اللعبة مستمرة لاتجد من يستنكرها ويفضحها .

ولقد نشأت جماعات وفئات وتكتلات ، وجدت في هذه الانقسامات مورد رزقها ووسيلة لبلوغ السلطة والظهور وتمثيل الادوار، حتى أصبح الانقسام في داخل حزب البعث تجارة واسعة رابحة مضمونة النجاح تغري حتى العاديين والمغمورين ، لأن قوى خفية ضخمة تمد يد العون والتشجيع لكل من يتعاطاها . كما أصبحت لعبة المحاور ومعركة المحاور مظهراً دائماً للعلاقة بين القوتين الرئيسيتين للثورة العربية ، واصبحت ممارسة هذه اللعبة سهلة مستمرة لانها تلقى التشجيع والترحيب والدعم من جميع الجهات التي تخطط للايقاع بالثورة العربية والقضاء عليها ، ولأن معركة المحاور لاتحتاج إلى جيوش ولا إلى تضحيات ولا إلى مشقة ، بل تشكل مسرحاً لتمثيل أدوار المزايدة اللفظية المخربة ، أو لتحويل الانظار عن مواقع التردى والاستسلام للمخططات الاجنبية .

ولكننا على أبواب مرحلة جديدة أخذت تباشيرها تظهر وتتجسد ، ويسقط معها التضليل والتزييف وأصنام التزييف الذين جردوا اقلامهم ووضعوا حقدهم في وجه كل صيحة مخلصه وموقف شريف طيلة المرحلة السابقة . وأخذت تنفش الغشاوات وينفتح الطريق واسعاً غير محدود لتفجر طاقات الامة العربية ونضال جماهيرها ، وتظهر في بعض الاقطار معالم انفجار شعبي ذي دلالات واسعة يحتاج إلى أعلى مستويات القيادة والتجرد القومي حتى يتكافأ معه ويكون جديراً بقيادته .

إن هذه المرحلة تشير باصبع الاتهام الى الذين ما زالوا يمارسون لعبة الانقسام ويتاجرون بالخلافات وسياسة المحاور تحت شتى الحجج والادعاءات .

فالامة في ساعات اليأس والخطر البالغ تسترد إرادتها السلبية ووعيتها الصافي السليم ، إرادة البقاء والتقدم الكامنة في جماهيرها الواسعة الكادحة التي تدفع باستمرار ثمن النكسات والهزائم والمؤامرات والمخططات الاجنبية ، والتي ترفض

اليوم ما حولها وتصمّم على النضال وعلى تبديل الواقع . . . ان هذه الجماهير العربية الكادحة التي لا تستطيع أن تشتريها الحكومات بالمال، ولم يعد للتضليل الاعلامي تأثير عليها، والتي تشكل القواعد الشريفة البريئة للحركة الناصرية ولحزب البعث العربي الاشتراكي ولباقي القوى الوطنية والتقدمية، طليعتها المناضلة، سوف تضع حداً للعب بمصائرها أمام اقتراب المعركة المصيرية، وسوف تفرض الوحدة والتوحيد على فصائل الثورة العربية من أجل دخول المعركة التي هي قدر الامة في هذه المرحلة، دخولا يضمن لها النجاح والنصر.

فالانظمة لن تستطيع بعد اليوم أن تهرب من عجزها إلى الادعاء، ولا من النقد الذاتي إلى النقد والتجريح، ولا من الحقائق إلى الشعارات ولا من الاستسلام للمخططات الاجنبية ولواقع التجزئة، إلى المحورية البعيدة عن هدف المواجهة للعدو وعن هدف التحرير. لأن القواعد الوحدوية المناضلة في الحركة الناصرية وفي البعث وفي المقاومة المسلحة وفي جميع المنظمات القومية والتقدمية المناضلة، وجماهير الامة الكادحة الثائرة، سوف تكون لها بالمرصاد.

إن هذه القواعد المناضلة مدعوة اليوم الى الارتقاء فوق التصنيفات الاصطلاحية، وإلى استنشاق هواء المعركة المصيرية، هواء النظرة الموضوعية، لخلق جوثوري جديد، ولبناء القاعدة الصلبة للثورة العربية التي تقضي على الاستسلام والتجزئة وتفرض الوحدة والتحرير.

فليس بغير هذا التجديد لمناخ النضال وتنقيته من كل ما لحق به من شوائب مصطنعة ومن تزييف. وليس في غير هذا الظرف تستطيع هذه القواعد أن تفرض إرادتها على القيادات وأن تلتقي على صعيد التلبية الحارة لنداء مسؤوليتها القومية وواجبها التاريخي.

عام ١٩٧٠